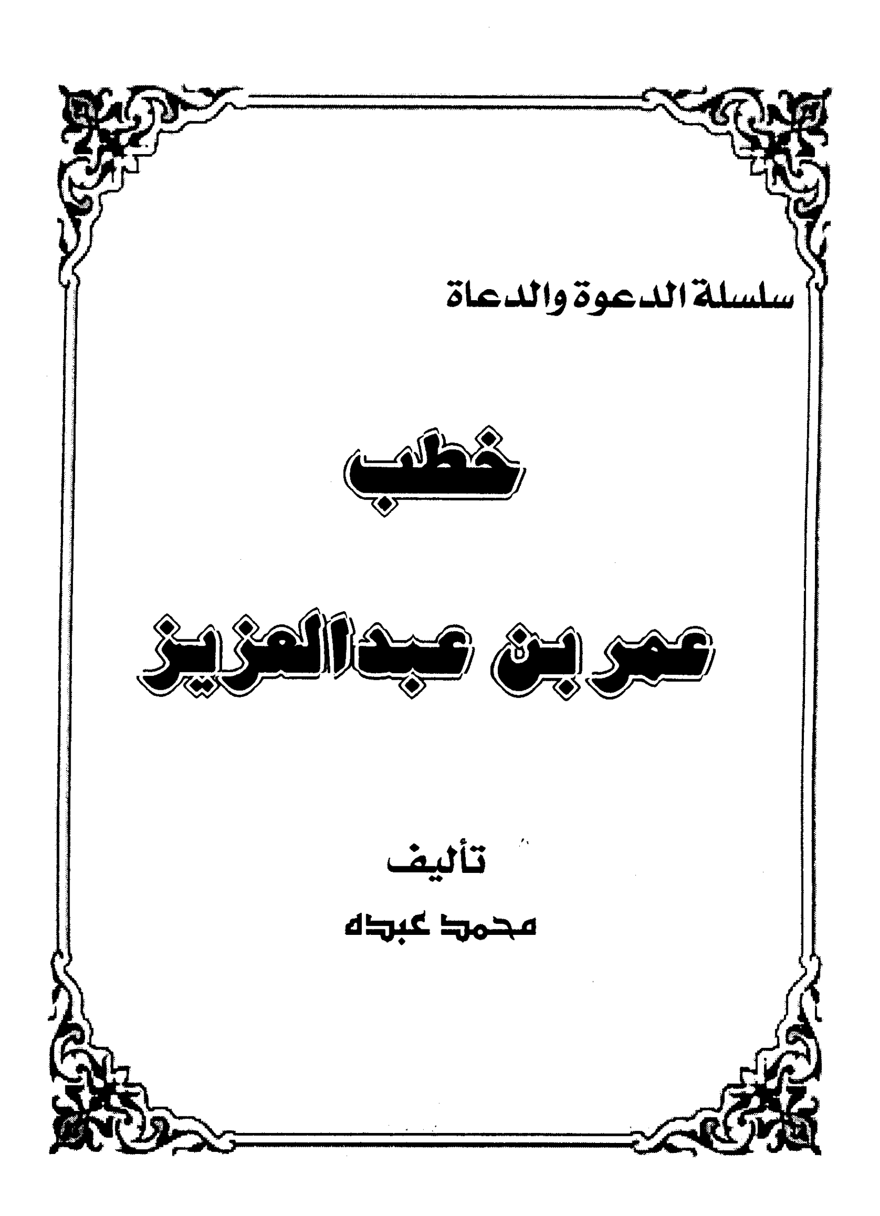

سلسلة الدعوة والدعاة

خطب

عمر بن عبد العزيز

تأليف

محمد عبده

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

المقدمــــة

إن الحمد لله الذى أضاء لنا الطريق بنور القرآن، ووعد بالجنة لأهل الإيمان، وتوعد الضالين بالنيران، الكل يدين له بالعرفان، خاضع لعظمته فهو الحنان المنان، أرسل رسوله بالبيان، ليخرج الناس من عبادة الأوثان، إلى عبادته فهو الواحد الديان.

والصلاة والسلام على سيد الأنام، رسول الله القرشى مسك الختام.

رأيتك يا خير البرية كلها
نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا
عن الحق لما أصبح مظلما
ونورت بالتبيان أمراً مدلساً
وأطفأت بالقرآن ناراً تضرما
فمن مبلغ عنى النبى محمداً
وكل امرئ يجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه
وكان قديماً ركنه قد تهدما
تعالى علوا فوق عرش إلهنا
وكان مكان الله أعلى وأعظما

فصلى اللَّهم وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين اللَّهم آمين

ثم أما بعد:

فلقد تحدثنا بعون الله ورحمته فى الكتب السابقة، عن خطب الخلفاء الراشدين، الذين أضاءوا الدنيا بنور العلم والإيمان، وها نحن ذا نكمل

المسيرة، فعمر بن عبد العزيز ـ رحمة الله عليه ـ أعده الكثيرون، من الخلفاء الراشدين أو بالمعنى الأدق أعده الكثيرون خامساً للخلفاء الراشدين، ومن هؤلاء سفيان الثورى حين قال: (الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وعمر بن عبد العزيز) (١).

وقال فى حقه الإمام الخضرى: (كان عمر بن عبد العزيز بعيداً عن كبرياء الملوك وجبروتهم فأعاد إلى الناس سيرة الخلفاء الراشدين الذين كانوا ينظرون إلى أمتهم نظر الأب البار ويعدلون بينهم فى الحقوق ويعفون عن أموال الرعية والدنيا عندهم أهون من أن يهتم بجمعها كذلك كان عمر ابن عبد العزيز) (٢)

وقال له جرير:

إن الذى بعث محمداً ... جعل الخلافة للإمام العادل
وسع الخلائق عدله ووفاؤه ... حتى ادعوى فأقام ميل المائل
إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً ... والنفس مولعة بحب العاجل

وقال جرير أيضا:

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة إذ كانت له قدرا ... كما أتى ربه موسى على قدر
هذه الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة الأرمل الذكر
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا ... بوركت يا عمر الخيران من عمر(٣)

---

(١) صفة الصفوة: ٢/٤٦١.
(٢) الدولة الأموية للشيخ محمد الخضرى: ٢/٢٧٣.
(٣) أبيات جرير فى المنتظم لابن الجوزى: ٤/١٨٦٥

وأختم بقول محارب بن دثار ـ رحمه الله ـ يرثى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بقول:

لو أعظم الموتُ خلقاً أن يواقعهُ
لعدلٍ لمْ يصبكَ الموتُ يا عمرُ
كم من شريعةِ عدلٍ قد نعشتَ لهم
كادتُ تموتُ وأخرى منك تنتظرُ
يا لهفَ نفسى ولهف الواجدينَ معى
على العدولِ التى تغتالها الحفرُ
ثلاثةٌ ما رأت عينى لهم شبهاً
تضمُ أعظمهم فى المسجدِ الحفرُ
وأنت تتبعهم لم تألُ مجتهداً
سقياً لها سننٌ بالحق تفتقرُ
لو كنت أملك والأقدارُ غالبةٌ
تأتى رواحاً وتبياناً وتبتكرُ
صرفتُ عنْ عمرَ الخيراتِ مصرعهُ
بديرِ سمعانَ لكن يغلبُ القدرُ(٤)

بعد هذا الكلام العذب الجميل الذى يصف لنا هذا الإمام العادل الذى أضاء لنا بنور عدله وعلمه صفحات التاريخ الإسلامى أرى أنه يجب علينا الإطلاع على أقواله، وأفعاله، وخطبه، وما يخصنا فى هذا الكتاب الخطب

(٤) البداية والنهاية: ٩/٢٤٨ ـ ٢٤٩.

لذا فلنمض سويا لننعم بخطب خامس الخلفاء الراشدين صاحب السيرة العطرة والمنهاج القدير، حفيد أميرنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سبحان الله ذرية بعضها من بعض تنير لنا الطريق حتى نسير على درب الهدى والتقى الذى أسأله ونسأله جميعا والله وحده الموفق للهدى فنسأله العون والسداد والرشاد فى الكتابة والقراءة والفهم الحسن اللّهم آمين آمين

المؤلف

محمد عبده

المنصورة - عزبة عقل - شارع أبو القاسم

ت: ٠١٠٥١٣٠٠٣٩

تمهيد

الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، هو ربى وربكم فالكل يطمع فى رضاه، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فهذا الكتاب سيتحدث بأمر المولى عزَّ وجلّ عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حفيد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ذرية بعضها من بعض.

وسيخص الكتاب صفحاته إن شاء الله فى أقوال وخطب ورسائل هذا الخليفة العادل الذى عم ذكرة الأرجاء وعطرت سيرته الأجواء فهو من كان مثله الأعلى رسول الله ﷺ وجده فكيف لا تكون سيرته عطرة؟

لندرس جميعاً كلماته، وخطبه، ورسائله كما كان يدرس هو أيضا.

فكم من صحيح بات للموت آمناً
أتته المنايا بغتة بعد ما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة
فراراً ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنعا
ولا يسمع الداعى وإن صوته رفع
وقرب من لحد فصاره مقيله
وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغنى لماله
ولا معدما فى المال ذا حاجة يدع

وحتى لا أطيل عليكم فسوف نقسم الكتاب بأمر المولى عزَّ وجلَّ إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خطب الحقيقة ورسائلها وفيها سنتعرض إن شاء الله إلى بيان أن الحقيقة هى «الدنيا زائلة لا محالة »

الفصل الثانى: خطبة الشافية ورسائلها: وفيها سنتعرض إن شاء الله لخطبه التى تمس إصلاح المجتمع وشفائه من الأمراض المعنوية التى انتشرت فيه

الفصل الثالث: مسك الختام: وفيه الحديث عن جزء من سيرة هذا الخالد ذكره والذى أسأل الله عزَّ وجلَّ أن أوفيه حقه اللَّهم آمين

المؤلف

محمد عبده

الفصل الأول

خطب الحقيقة ورسائلها

الفصل الأول

خطب الحقيقة ورسائلها

أرى أن هذا العنوان يحتوى على غموض، ولكن سيتضح لنا هذا الغموض بعد أن نعلم أن الحقيقة هى «الدنيا زائلة لا محالة، والآخرة هى دار القرار» ومعنى العنوان أننا سنتحدث إن شاء الله عن الخطب والرسائل التى تزيد من كشف وبيان هذه الحقيقة، التى وللأسف نسيها الكثيرون من عصرنا لانشغالهم بدنياهم، إما بالأموال، وإما بالبنين، وإما بالنساء، وإما بالجميع، وبالطبع هذه ليست قاعدة عامة لأن الخير فى أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة فهناك أناس يسعون جاهدين للفوز برضا الرحمن والنجاة من النيران.

هادم اللذات

هذه هى الخطبة الأولى بعد ما تولى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - مقاليد الحكم، وفيها تذكرة بهادم اللذات، خليفة يذكر نفسه بالموت عندما تكون الدنيا بقبضته - رحمة الله عليه -، وحتى لا أطيل عليكم فإليكم بيانها.

يقول العلامة ابن كثير: لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله.

فقال له عمر: مالى ولك؟ تنح عنى، إنما أنا رجل من المسلمين، ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال:

نص

(أيها الناس....!

إنى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منى فيه ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون.

فصاح المسلمون صيحة واحدة: (قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا، ورضينا كلنا بك).

فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه وقال:

أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلَفُ من كل شىء، وليس من تقوى الله خلف، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى كتابها ولا فى نبيها، وإنما اختلفوا فى الدينار والدرهم، وإنى والله لا أعطى أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً.

ثم رفع صوته فقال:

أيها الناس......!

من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعونى ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم.)[1]

وأكمل بعد هذه الخطبة ما حدث لنصل إلى رسالته:

ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت، والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت، وأمر ببيعها وإدخال أثمانها فى بيت مال المسلمين ثم ذهب يتبوأ مقيلاً، فأتاه ابنه عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟

قال: أى بنى أقيل...!

(١) البداية والنهاية للعلامة ابن كثير: ٩/٢٤٩، صفة الصفوة لابن الجوزى ٢/٤٦٣.

قال ابنه: تقيل ولا ترد المظالم؟

قال: أى بنى إنى قد سهرت البارحة فى أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم.

قال ابنه: يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر؟

قال: ادنُ[٢] منى أى بنى، فدنا منه فالتزمه، وقبل بين عينيه، وقال: الحمد لله الذى أخرج من صُلبى من يعيننى على دينى، فخرج، ولم يقل، وأمر مناديه أن ينادى: من كانت له مظلمة فليرفعها.

فقام إليه رجل ذمى من أهل حمص أبيض الرأس واللحية

فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله...؛

قال: وماذاك؟

قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى، والعباس جالس.

فقال له: يا عباس ما تقول له؟

قال العباس: أقلعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لى بها سجلاً.

فقال عمر: ما تقول يا ذمى؟

قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عزَّ وجلَّ.

فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، قم فاردد عليه ياعباس ضيعته.

فرد عليه فجعل لا يدع شيئا مما كان فى يده وفى يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمةً مظلمةً، فلما بلغت الخوارج سيرة عمر، وما رد من

(٢) ادن: أى: اقترب.

المظالم اجتمعوا فقالوا: (ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل) فبلغ ذلك عمر ابن الوليد بن عبد الملك، فكتب إليه: إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، وعبت عليهم، وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنئاً لمن بعدهم من أولادهم، قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذا عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم، فأدخلتها فى بيت المال جوراً وعدواناً، ولن تترك على هذا.

ما أكثر خصماءكما يوم القيامة

قرأنا ماكتبه عمر بن الوليد إلى عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ، ولنقرأ سويا الرد ولقد اخترت للرد هذا العنوان من داخل الرسالة، هذه الرسالة التى أبان فيها عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ الحقيقة لعمر بن الوليد عسى أن يرتدع، وأرجو الله أن نعمل نحن أيضا بها وحتى لا أطيل عليكم فإليكم نصها.

نص

بسمَ الله الرحمن الرحيم

(من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمر بن الوليد، السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين،

أما بعد....

فإننى بلغنى كتابك سأجيبك بنحو منه: أما أول شأنك ياابن الوليد كما زعم فأمك بنانة أمه السكون، كانت تطوف فى سوق حمص وتدخل فى حوانيتها، ثم الله أعلم بما اشتراها ذبيان من فىء المسلمين، فأهداها لأبيك، فحملت بك، فبئس المحمول وبئس المولود.

ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً، أتزعم أنى من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فىء الله عزَّ وجلَّ الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك، ولم تكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده، فويل لك وويل لأبيك، ما أكثر خصماءكما يوم القيامة وكيف ينجو أبوك من خصمائه.

وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام، ويأخذ المال الحرام، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً على مصر وأذن له من المعازف واللهو والشرب.

وإن أظلم وأترك لعهد الله من جعل لعالية البربرية سهماً فى خمس فى العرب، فرويداً ياابن بنانة، فلو التقى حلقتا البطان ورد الفىء إلى أهله لتفرعت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأخذتم فى بنيان الطريق، ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل فإن لكل فيك حق.

والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين) (٣)

حساباً شديداً

سيظن الكثير أن بهذه الرسالة قسوة وغلظة ولكنها لم تكن كذلك، ولكنها كانت رحمة وحكمة فالكل يعلم منيته ونهايته فلما لا يفيق الجميع من غمرة الملذات، واتباع الشهوات.

وهناك رسالة أخرى أسوقها إليكم كتبها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى جميع عماله والتى وضعناها تحت عنوان «حساباً شديداً» نصها.

(٣) المنتظم لابن الجوزى: ١٨٦١/٤ - ١٨٦٢، صفة الصفوة: ٤٦٣/٢ - ٤٦٤.

نص

(أما بعد....؛

فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفني، ويزيد بن عبد الملك من بعدي، إن كان، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس على بهين، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واعتقال أموال كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه وأنا أخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً.... ومسألة غليظة إلا ما عافى الله ورحم وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك) (٤)

خطفات المنايا

جاء في كتاب سيرة عمر لابن الجوزي: حدثني أبو عبد الله الأزدي، عن الحسن بن عبد محمد الخزاعي، عن رجل من ولد عثمان بن عفان، أن عمر ابن عبد العزيز قال في بعض خطبه:

نص

(إن لكل سفر زاداً لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة، وكونوا كمن عاين ما أعد الله تعالى من ثوابه وعقابه، ترغبون وترهبون، لا يطولن عليكم الأمر فتقسوا قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم، فإنه والله، ما بسط أمل من لا يدري، لعله لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسى بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً، وإنما تقرُّ عينُ من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة، فأما من لا يبرأ من كلم إلاَّ أصابه جرح من ناحية أخرى، أعوذ بالله

(٤) الدولة الأموية للخضري: ٢/٣٧٣.

أن آمركم بما أنهى نفسى عنه، فتخسر صفقتى، وتظهر عيلتى، وتبدو مسكتى، فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر، والموازين منصوبة، لقد عنيتم بأمر ، لو عنيت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت، أما تعلمون، أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى إحداهما) (٥)

خطبته عند القبور

ثنا عبد الله بن عياش عن أبيه. أن عمر بن عبد العزيز شيع جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها فتركتها وتركتها؟

فقال: نعم؛ نادانى القبر من خلفى يا عمر بن العزيز ألا تسألنى ما صنعت بالأحبة؟ قلت: بلى؛، قال: خرقت الأكفان ومزقت الأبدان، ومصصت الدم وأكلت اللحم، ألا تسألنى ما صنعت بالأوصال؟، قلت: بلى؛، قال: نزعت الكفين من الذراعيين، والذراعيين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين، والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين، ثم بكى عمر فقال:

نص

(ألا إن الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيها فقير، وشبابها يهرم، وحيها يموت، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، والمغرور من اغتر بها، أين سكانها الذين بنوا مدائنها، وشققوا أنهارها، وغرسوا أشجارها، وأقاموا فيها أياما يسيرة غرتهم بصحتهم، وغروا بنشاطهم، فركبوا المعاصى؟.

(٥) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ١٨٦.

إنهم كانوا والله فى الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه.

ما صنع التراب بأبدانهم، والرمل بأجسادهم، والديدان بعظامهم وأوصالهم؟، كانوا فى الدنيا على أسرة ممهدة، وفرش منضدة، بين خدم يخدمون، وأهل يكرمون، وجيران يعضدون، فإذا مررت فنادهم إن كنت مناديا، وادعهم إن كنت لابد داعيا، ومر بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم التى كان بها عيشهم، وسل غنيهم ما بقى من غناه، وسل فقيرهم ما بقى من فقره، وسلهم عن الألسن التى كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التى كانت إلى اللذات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان؟ محت الألوان، وأكلت اللحمان، وعفرت الوجوه، ومحت المحاسن، وكسرت الفقار، وأبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء، وأين حجالهم وقبابهم؟، وأين خدمهم وعبيدهم، وجمعهم ومكنوزهم؟، والله ما زودوهم فراشا، ولا وضعوا هناك متكأ، ولا غرسوا لهم شجراً، ولا أنزلوهم من اللحد قرارا، أليسوا فى منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم فى مدلهمة ظلماء، قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة؟.

فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوهم بالية، وأجسادهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم ممزقة، قد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دما وصديداً، ودبت دواب الأرض فى أجسادهم ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرا، حتى عادت العظام رميماً، قد فارقوا الحدائق، فصاروا بعد السعة إلى المضايق، قد تزوجت نساؤهم، وترددت فى الطريق أبناؤهم، وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له فى قبره، الغض الناضر فيه، المتنعم بلذته.

يا ساكن القبر عدا ما الذى غرك من الدنيا، هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء، ونهرك المطرد؟، وأين ثمرك الناضر ينعه؟، وأين رقاق ثيابك؟ وأين طيبك؟، وأين بخورك؟، وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟، أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه وجلا، وهو يرشح عرقا، ويتملظ عطشا، ويتقلب من سكرات الموت وغمراته؟، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر والأجل مالا تمتنع منه، هيهات هيهات يا مغمص الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخليه فى القبر وراجعا عنه، ليت شعرى كيف كنت على خشونة الثرى؟، ياليت شعرى بأى خديك بدأ البلا، يا مجاور الهلكات صرت فى محلة الموتى؟، ليت شعرى ما الذى يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا، وما يأتينى به من رسالة ربى؟؛ ثم تمثل

تسر بما يفنى وتشغل بالصبا   كما غر باللذات فى النوم حالم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة   وليلك نوم والردى لك لازم

وتعمل فيما سوف تكره غبه   كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

ثم انصرف)[٦]

ويقال: إنه مات بعد هذه الخطبة بجمعة.

وهناك أيضا رسالة أرسلها إلى إبنه لا تقل عظمة عن هذه الخطبة السابقة، هذه الرسالة أرسلها إلى ابنه، وأضعها تحت عنوان.

(٦) الخطبة فى حلية الأولياء لأبى نعيم: ٢٦١/٥ - ٢٦٣.

راغبا فى الجنة هارباً من النار

حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة حدثنا على بن عثمان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عمرو ابن ميمون بن مهران حدثنى ليث بن أبى رقية «كاتب عمر بن عبد العزيز فى خلافته» أن عمر كتب إلى ابنه فى العام الذى استخلف فيه - وابنه إذ ذاك بالمدينة يقال له: عبد الملك أما بعد:

نص

(فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسى أنت، وإن أحق من رعى ذلك وحفظه عنى أنت، وإن الله تعالى له الحمد قد أحسن إلينا إحسانا كثيراً بالغا فى لطيف أمرنا وعامته، وعلى الله إتمام ما عبر من النعمة، وإياه نسأل العون على شكرها، فاذكر فضل الله على أبيك وعليك، ثم أعن أباك على ما قوى عليه وعلى ما ظننت أنى عنده منه عجزا عن العمل فيما أنعم به عليه وعليك فى ذلك فراغ نفسك وشبابك وصحتك، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله حمداً وتسبيحاً وتهليلا فافعل، فإن أحسن ما وصلت به حديثا حسنا حمد الله وذكره، وإن أحسن ما قطعت به حديثا سيئا حمد الله وذكره، ولا تفتتن فيما أنعم الله به عليك فيما عسيت أن تقرظ به أباك فيما ليس فيه، إن أباك كان بين ظهرانى إخوته عند أبيه يفضل عليه الكبير، ويدنى دونه الصغير، وإن كان الله وله الحمد قد رزقنى من والدى حسبا جميلاً، كنت به راضيا أرى أفضل الذى يبره ولده على حقا، حتى ولدت وولد طائفة من إخوتك، ولا أخرج بكم من المنزل الذى أنا فيه، فمن كان راغبا فى الجنة وهاربا من النار فالآن هى هذه الحالة والتوبة مقبولة، والذنب مغفور، قبل نفاد الأجل، وانقضاء العمل، وفراغ من

الله للثقلين ليدينهم بأعمالهم فى موطن لا تقبل فيه الفدية، ولا تنفع فيه المعذرة، تبنى فيه الخفيات، وتبطل فيه الشفاعات، يرده الناس بأعمالهم ويصدرون فيه أشتاتا إلى منازلهم، فطوبى يومئذ لمن أطاع الله، وويل يومئذ لمن عصى الله، فإن ابتلاك الله بغنى فاقتصد فى غناك، وضع الله فى نفسك، وأد إلى الله فرائض حقه فى مالك وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح: ﴿ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٧)

وإياك أن تفخر بقولك، وأن تعجب بنفسك، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامة بك على ربك، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك فإذا أنت أخطأت باب الشكر، ونزلت منازل أهل الفقر، وكنت ممن طغى للغنى وتعجل طيباته فى الحياة الدنيا، فإنى لأعظك بهذا وإنى لكثير الإسراف على نفسى، غير محكم لكثير من أمرى، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم نفسه، ويكمل فى الذى خلق له لعبادة ربه، إذا تواكل الناس الخير، وإذا يرفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أو استحلت المحارم، وقل الواعظون، والساعون بالنصيحة فى الأرض فلله الحمد رب السماوات والأرض رب العالمين، وله الكبرياء فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم)

قدرة الخالق

هذه رسالة قصيرة فى لفظها عظيمة فى معناها أرسلها عمر بن عبد العزيز عليه ـ رحمة الله ـ إلى عدى بن أرطأةَ وهو عامله على بعض النواحى قال فيها:

(٧) النمل آية: ٤٠.

(٨) حلية الأولياء لأبى نعيم: ٥/٢٧٥ ـ ٢٧٧.

نص

(أما بعد....؛

فإذا أمكنتك القُدرةُ على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك؛

واعلم أنَّ مالَكَ عند الله مثل ما للرعيَّة عندك) (٩)

دار كتب الله عليها الفناء

جاء فى كتاب سيرة عمر للعلامة ابن الجوزى قال: حدثنا عمر بن محمد المكى

قال: خطب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فقال:

نص

(إن الدنيا ليست بدار قرار، دار كتب الله عليها الفناء أو كتب على أهلها منها الظعن، فكم عامر موثق عما قليل يخرب، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا ـ رحمكم الله ـ منها الرحلة، بأحسن ما يحضر بكم من النقلة، وتزودوا، فإن خير الزاد التقوى.

إنما الدنيا كفىء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم فى الدنيا منافس، وبها قرير عين، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودنياه، وصيَّر لقوم آخرين مصانعه وغناه.

إن الدنيا لا تُسرُّ بقدر ما تضر، إنها تسر قليلاً، وتجر حزناً طويلاً) (١٠)

(٩) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى: ٦/٢٧٧.

(١٠) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ١٨٦ ـ ١٨٧.

المخرج من كرب يوم القيامة

حدثنا أبو حامد ثنا محمد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن هانى، ثنا سعيد ابن أبى مريم ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أبى حبيبة. أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض عماله، أما بعد:

نص

(فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته، فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه، وبها تحقق لهم ولايته، وبها رافقوا أنبياءهم، وبها نضرت وجوههم، وبها نظروا إلى خالقهم، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن، والمخرج من كرب يوم القيامة، ولم يقبل ممن بقى آلا بمثل ما رضى عمن مضى ولمن بقى عبرة فيما مضى، وسنة الله فيهم واحدة، فبادر بنفسك قبل أن تؤخذ بكظمك، ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك، فقد رأيت الناس كيف يموتون؟، وكيف يتفرقون؟، ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته وذا الأمل أمله، وذا السلطان سلطانه؟، وكفى بالموت موعظة بالغة، وشاغلا عن الدنيا، ومرغبا فى الآخرة - فنعوذ بالله من شر الموت وما بعده، ونسأل الله خيره وخير ما بعده -، ولا تطلبن شيئا من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضر بآخرتك فيزرى بدينك، ويمقتك عليه ربك، واعلم أن القدر سيجرى إليك برزقك، ويوفيك أملك من دنياك بغير مزيد فيه بحول منك ولا قوة، ولا منقوصا منه بضعف.

إن أبلاك الله بفقر فتعفف فى فقرك، واخبت لقضاء ربك، واعتبر بما قسم الله لك من الإسلام، ما ذوى منك من نعمة الدنيا فإن فى الإسلام خلفا من الذهب والفضة من الدنيا الفانية.

اعلم أنه لن يضر عبداً صار إلى رضوان الله، وإلى الجنة ما أصابة فى الدنيا من فقر أو بلاء، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله، وإلى النار ما أصاب فى الدنيا من نعمة أو رخاء، ما يجد أهل الجنة مس مكروه أصابهم فى دنياهم، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها فى دنياهم، كل شىء من ذلك كأن لم يكن.

تشيعون غادياً أو رائحا إلى الله قد قضى نحبه، وانقضى أجله، وتغيِّبونه فى صدع من الأرض، ثم تدعونه غير متوسد ولا متمهد، فارق الأحبة، وخلع الأسلاب، وسكن التراب، وواجه الحساب، مرتهنا بعمله، فقير إلى ما قدم غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وانقضاء موافاته، وايم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم أكثر مما أعلم عندى، واستغفر الله وأتوب إليه) (١١)

لن تتركوا سدى

روى عبد الله بن بكر السَّهمى، قال: حدثنا رجل فى مسجد الجّنابذ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخُناصِرة، فقال:

نص

(أيها الناس.....!

إنكم لم تخلقوا عبثا، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء، وحُرِمَ الجنة التى عرضها السماوات والأرض.

(١١) حلية الأولياء لأبى نعيم: ٢٧٨/٥ ـ ٢٧٩.

ألا واعلموا أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان.

ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين؟

وفى كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه، وانقضى أجله، فتغيبونه فى صدع من الأرض، ثم تدعونه غير موسر ولا ممهد، قد فارق الأحبة، وخلع الأسباب، بعمله فقير إلى ما قدم، غنى عما ترك.

فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه.

وايم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عن أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى، فأستغفر الله وأتوب إليه، وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وددت أنه سدّاى ولحمتى، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء.

وايم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش، لكان اللسان منى به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، يدل فيها على طاعته، وينهى عن معصيته) (١٢) وقيل: إن هذه كانت آخر خطبة.

الرزق مقسوم

روى منصور بن مزاحم، قال: حدثنا شعيب - يعنى ابن صفوان - عن ابن عبد الحميد، قال: قال عمر بن عبد العزيز:

(١٢) تاريخ الأمم والملوك للعلامة ابن جرير: ٤٧٥/٧. وكذا حلية الأولياء: ٢٩٥/٥، وصفة الصفوة: ٤٦٧/٢ - ٤٦٨.

نص

(من وصل أخاه بنصيحة له فى دينه، ونظر له فى صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه، فاتقوا الله، نصيحة لكم فى دينكم، فاقبلوها وموعظة منجية فى العواقب فالزموها.

الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له، فأجملوا فى الطلب، فإن فى القنوع سعة وبلغة وكفافاً، إن أجل الدنيا فى أعناقكم، وجهنم أمامكم وما ترون ذاهب، وما مضى فكأن لم يكن، وكل أموات عن قريب، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق، وبعد فراغه، وقد ذاق الموت، والقوم حوله يقولون: قد فرغ رحمه الله....؛

وعاينتم بعد تعجيلى إخراجه، وقسمة تراثه ووجهه مفقود، وذكره منسى، وبابه مهجور، وكأن لم يخالط إخوان الحفاظ، ولم يعمر الديار، فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة فى الموازين.) (١٣)

رضينا بقضاء الله

قلنا فى أول الفصل: إن الحقيقة هى «الدنيا زائلة لا محالة، والآخرة هى دار القرار» هذه هى الحقيقة من يعلمها ويوقن بها تستقر نفسه، وتنعم بالقرب من الله، وحتى نفهم جميعاً ما أقصد فلننظر إلى ما فعله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك. وقبل أن أنقل إليكم الخبر، أقول لكم لقد صبر لأنه يعلم الحقيقة هذه الحقيقة أننا أموات أبناء أموات فلما نخرج عن قواعد وأداب الجنازة التى شرعها لنا الشارع وحتى لا أطيل عليكم فإليكم الخبر.

(١٣) تاريخ الأمم والملوك: ٤٧٦/٧، سيرة عمر بن عبدالعزيز: ١٩٤.

«حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنى زياد أى حسان: أنه شهد عمر ابن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك استوى قائما فأحاط به الناس فقال:

نص

(والله يا بنى لقد كنت براً بأبيك، ووالله ما زلت منذ وهبك الله لى مسروراً بك، ولا والله ما كنت قط أشد سروراً ولا أرجى لحظى من الله منك مُنذ وضعتك فى المنزل الذى صيرك الله إليه، فرحمك وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسن أعمالك، ورحم كل شافع يشفع لك غيرى شاهد وغائب رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره، والحمد لله رب العالمين) (١٤)

القيامة

جاء فى سيرة عمر لابن الجوزى: حدثنا بشر بن عبد الله بن يسار السلمى قال: خطب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ الناس فقال:

نص

(أيها الناس.....!

لا يبعدن عليكم، ولا يطولن يوم القيامة، فإن من وافته منيته، فقد قامت قيامته، لا يستطيع أن يزيد من حسن، ولا يعتب من سىء.

ألا لا سلامة لامرئ فى خلاف السُّنة، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الله، ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه العاص، إلا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم.) (١٥)

(١٤) المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزى: ١٨٨٤/٤.

(١٥) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ١٩٣.

إنكم لهلكى

قال ابن الجوزى: حدثنا أبى عن الحسن بن محمد الحضرمى قال: خطب عمر بن عبد العزيز فقال:

نص

(أيها الناس.....؛

إنكم قد خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به، إنكم لحمقى، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى؛

إنما خلقتم للأبد ولكنكم فى دار إلى دار تنقلون.

عباد الله...

إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص، ومن شرابكم شرق، لا تصفو لكم نعمة تُسرون بها، إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه) (١٦) ثم غلبه البكاء فنزل.

لكل امرئ منكم حفرة

قال ابن الجوزى: عن على بن الحسين قال: كان لعمر بن عبد العزيز صديق، فأخبر أنه قد مات، فجاء إلى أهله يعزيهم، فصرخوا فى وجهه، فقال لهم عمر:

نص

مَهْ....!

(١٦) نفس المرجع السابق.

إن صاحبكم هذا لم يكن يرزقكم، وإن الذى يرزقكم حَىٌّ لا يموت، إن صاحبكم لم يَسُد شيئاً من حفركم، وإنما سد حفرة نفسه، لكل امرئ منكم حفرة لابد والله أن يسدها.

إن الله لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب، وعلى أهلها بالفناء، وما امتلأت دار حسرة، إلا امتلأت عبرة. ولا اجتمعوا إلا تفرقوا، حتى يكون الله هو الذى يرث الأرض ومن عليها، فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه، فإن الذى صار إليه صاحبكم، كلكم يصير إليه غداً) (١٧)

حبيب مودع

جاء فى سيرة عمر لابن الجوزى عن جعونة قال: قال عمر بن عبد العزيز

نص

(يا أيها الناس....!

إنما أنتم أغراض تتنقل فيها المنايا، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى، وأى أكلة ليس معها غصة؟ وأى جرعة ليس معها شرقة؟ وإن أمس شاهد مقبول،. وقد فجعكم بنفسه، وخلف فى أيديكم حكمته، وإن اليوم حبيب مودع، وهو وشيك الظعن، وإن غداً آت لما فيه، وأين يهرب من ينقلب فى يد طالبه؟، إنه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب، وإنما أنتم سفر ستحلون عقد رحالكم فى غير هذه الدار، ثم أنتم فروع أصول قد مضت، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله) (١٨)

---

(١٧) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ١٩٧.
(١٨) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ٢٠٢.

نقص العمر

قال العلامة ابن الجوزى: عن عيسى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى رجل:

نص

(أما بعد....!

فإنى أوصيك بتقوى الله، وتقديم ما استطعت من مالك، وما رزقك الله إلى دار قرارك، فإنك، والله، لكأنك قد ذقت الموت، وعانيت ما بعده، بتصرف الليل والنهار فإنهما سريعان فى طى الأجل، ونقص العمر، لم يفتهما شىء اقتناه، ولازمن مر به، مستعدان لمن بقى بمثل الذى أصاب به من قد مضى، فسنستغفر الله لسيئ أعمالنا، ونعوذ به من مقته إيانا على ما نعظ به مما نقصر عنه) (١٩)

الله عباد الله

قال ابن الجوزى: حدثنى صالح المرى قال: حدثنى رجل من الأزد أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول فى خطبته:

نص

(يا أيها الناس....!

لا تغرنكم الدنيا والمهلة فيها، فعن قليل عنها تنقلون، وإلى غيرها ترحلون، فالله الله عباد الله، فى أنفسكم، فبادروا بها الفوت قبل حلول

(١٩) المرجع السابق: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

الموت، ولا يطل بكم الأمد، فتقسوا قلوبكم فتكونوا كقوم دعوا إلى خطهم فقصروا عنه بعد المهلة، فندموا على ما قصروا، عند الآخرة) (٢٠) ثم نحب وهو على المنبر.

أصلحوا آخرتكم

وقال أيضا ابن الجوزى: عن السرى بن يحيى أن عمر بن عبد العزيز حمد الله ثم خنقته العبرة، ثم قال

نص

(أيها الناس....!

أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم. والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات، إنه لمعرق له فى الموت) (٢١)

مواعظ أهل التقوى

هذا العنوان يحتوى على نص لرسالتين: رسالة أرسلها عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وفيها طلب الموعظة فكان الرد على هذه الرسالة من أعظم الكلمات. سبحان الله أمر المؤمنين يطلب النصح من قرابته، من هؤلاء الناس؟

إنهم أُناس باعوا الدنيا واشتروا ما عند الله.

وحتى لا أطيل عليكم فإليكم النصين:

(٢٠) سيرة عمر: ٢٠٥.
(٢١) المرجع السابق.

حدثنا الثقة يونس بن جعفر الرقى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب:

نص

(أما بعد....!

فإن الله، تبارك اسمه وتعالى جده، ابتلانى بما ابتلانى به من أمركم من غير مشورة منى فيه ولا طلب، إلا قضاء من الرحمن الرحيم، فأسأل الذى ابتلانى بما ابتلانى به من أمر عباده وبلاده، أن يحسن عونى وعاقبتى وعاقبة من ولانى أمره.

وقد رأيت أن أسير فى الناس بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن قضى الله ذلك واستطعت إليه سبيلاً.

فابعث إلىَّ بكتب عمر وقضائه فى أهل القبلة وأهل العهد، فإنى متبع أثره، وسائر بسيرته إن شاء الله تعالى ـ وأسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى) فأجابه سالم:

نص

(أما بعد، فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلق الدنيا لما أراد أن يخلقها له فجعل لها مدة قصيرة، كأن ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢٢)

(٢٢) سورة القصص آية: ٨٨.

لا يقدر أهلها منها، يا عمر، على شىء حتى تفارقهم ويفارقونها، بعث بذلك رسول الله، وأنزل كتابه، وضرب فى ذلك الأمثال، وضرب فيه الوعيد جعل دينه فى الأولين والآخرين ديناً واحداً، فلم يختلف رسله ولم يبدل قوله. ثم إنك، يا عمر، لست تعدو أن تكون رجلا من بنى آدم يكفيك ما يكفى لرجل منهم من الطعام والشراب. فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذى توجه إليه شكر النعم، فإنك قد وليت أمراً عظيماً ليس يلى عليك أحد دون الله عزَّ وجلَّ إن استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل، فإنه قد كان قبلك رجال عملوا ما عملوا، وأحيوا ما أحيوا، وأتوا ما أتوا، حتى ولد فى ذلك رجال، ونشأوا فيه وظنوا أنها السنة، فسدوا على الناس أبواب الرخاء، فلم يسدوا منها باباً إلا فتح عليهم باب بلاء، فإن استطعت - ولا قوة إلا بالله أن تفتح على الناس أبواب الرخاء، فافعل. فإنك لن تفتح منها باباً إلا سد الله الكريم عنك باب بلاء، ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول: لا أجد من يكفينى عمله؟ فإنك إذا كنت تنتزع لله، وتستعمل لله، أتاح الله لك أعوانا فأتاك بهم، وإنما قدر عون الله إياك بقدر نيتك، فإن تَمَّتْ نيتك تَّم عون الله الكريم إياك، وإن قصرت نيتك، قصر من الله العون بحسب ذلك.

واعلم أنه كان قبلك رجال عاينوا هول المطلع، وعالجوا نزع الموت الذى كانوا منه يفرون، فانشقت بطونهم التى كانوا لا يشبعون بها، وانفقأت أعينهم التى كانوا لا تنقطع لذتها، واندقت رقابهم غير موسدين بعد ما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق، والسرور والخدم، فصاروا جيفا فى بطون الأرضى تحت مهادها، والله لو كانوا إلى جانب مسكين لتأذى بريحهم بعد إنفاق مالا يحصى عليهم وعلى خواصهم من الطيب (العطر) كل ذلك إسرافاً. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

مـا أعظم الذى ابتليت به وأفظع الذى سيق إليك، أهل العـراق؛ أهل العراق؛ أبرهم منك منزلةً من لا فقر بك إليه، ولا غنى بك عنه، فمن بعثت من عمالك إلى العراق فانهه نهياً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها.

المال المال. يا عمر؛، والدم الدم، فإنه لا نجاة لك من هول جهنم من عامل بلغك ظلمه ثم لم تغيره. وإنه من بعثت من عُمَّالك، أن يعملوا بمعصية أو أن يحكموا بشبهة، أو أن يحتكروا على المسلمين بيعاً، فإنك إن اجترأت على ذلك، أتى بك يوم القيامة ذليلاً صغيراً، وإن تجنبت عنه، عرفت راحته فى سمعك وبصرك وقلبك.

كتبت إلى تسألنى أن أبعث إليك بكتب عمر وبقضائه فى أهل القبلة، وفى أهل العهد، وإن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عمل فى غير زمانك، وعمل بغير رجالك، وإنك إن عملت فى زمانك على نحو الذى عمل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى زمانه، بعد الذى رأيت وبلوت، رجوت أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر ابن الخطاب كما قال العبد الصالح ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٢٣)) (٢٤)

يا أرحم الراحمين

وأختم خطب الفصل بمقولة عظيمة لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ عليه رحمة الله ـ وهى:

(٢٣) سورة هود آية: ٨٨.
(٢٤) سيرة عمر بن عبدالعزيز: ١٢٠ ـ ١٢٢.

نص

(اللَّهم....؛

إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحـمـتك، فـإن رحـمـتك أهل أن تبلغنى، فـإن رحـمتك وسعت كل شـىء، وأنا شىء، فلتسعنى رحمتك، يا أرحم الراحمين. اللَّهم...؛

إنك خلقت أقواماً فأطاعوك فيما أمرتهم به، وعملوا فى الذى خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك، يا أرحم الراحمين!) (٢٥)

(٢٥) المرجع السابق: ١٨٤.

الإفادة

إن هذه السلسلة «سلسلة الدعوة والدعاة» القصد منها تعليم الدعاة وكذلك نشر الدين الإسلامى الحنيف بصورة سلسة ومبسطة، لذا أتبع كل الفصول بالإفادة حتى ننظر الى ما سبق ذكره من خطب أو رسائل وبعين استقرائية متخصصة يتسنى لنا من خلالها الغوص فى أعماق هذا الداعية المذكور أيا كان، وإخراج ما يستفاد منه، حتى نعمل به والله الموفق.

والآن نقول: إن ما يستفاد من هذه الخطب عدة أمور وهى.

الأمر الأول:

دقة الإسترسال التصويرى الكلامى:

الداعية قد يخطئ أحياناً عندما يتعرض للحديث عن الموت، أو القبر، أو القيامة، فيختصر فى الحديث، أو يظن أن الإطالة فى الموضوع ستنقص من استجابة المستمع.

بالطبع هذا خطأ عظيم والصواب أن مثل هذه المواضع ينبغى أن تذكر بأدق التفاصيل لأن المستمع يحاول أن يتصور كلام الداعية ويجتهد فى الوصول إلى صورة تناسب هذا الكلام وهنا يجب على الداعية أن يتكلم بأدق التفاصيل حتى يحدث عند المستمع الوصول إلى أقرب صورة من الممكن أن تطابق جزءًا من آلاف الأجزاء من الحقيقة، ولنضرب مثالا على ذلك:

«عندما يخطب الداعية قائلا: «القبر بيت الوحشة.. القبر بيت الدود.. القبر بيت الظلمة، ثم يكمل بآية وحديث وقصة بقية كلامه» هل يحدث هنا استيعاب كامل للمستمع؟.

أم أن هذا الاستيعاب يحدث عندما يقول الداعية كما قال عمر بن عبد العزيز ـ عليه رحمة الله ـ «نادانى القبر من خلفى يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألنى ما صنعت بالأحبة؟ قلت: بلى؛ قال: خرقت الأكفان، ومزقت الأبدان، ومصصت الدم، وأكلت اللحم، ألا تسألنى ما صنعت بالأوصال؟. قلت: بلى؛ قال: نزعت الكفين من الذراعين، والذراعين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين، والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين»، وأيضا فى نفس النص «ما صنع التراب بأبدانهم، والرمل بأجسادهم، والديدان بعظامهم وأوصالهم، كانوا فى الدنيا على أسرة ممهدة، وفرش منضدة، بين خدم يخدمون، وأهل يكرمون.... إلى آخره»

بالله عليكم التصوير الذى قلته فى الأول أقوى أم التصوير الذى صوره لنا عمر بن عبد العزيز ـ عليه رحمة الله ـ فى «خطبته عند القبور»؟.

الأمر الثانى:

التطعيم الشعرى:

التطعيم الشعرى فى الخطبة أمر هام جداً فالشعر ذو تأثير قوى ولقد رأينا فى خطبة أمير المؤمنين عمر ـ رحمه الله ـ ذلك حين قال:

تسر بما يفنى وتشغل بالصبا ... كما غر باللذات فى النوم حالم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

وتحرص فيما لا يدوم نعيمه ... كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

هذه هى الأبيات الشعرية التى ذكرت فى خطبة عمر - رحمه الله - ومن الممكن أن يذكر الداعية أبيات شعرية بسيطة إذا رأى أن المستمعين على درجة ليست بمرتفعة فى اللغة العربية ومن هذه الأبيات.

إلهى ها أنا العاصى خلياً   من الإحسان حاوٍ للمساوى
فلا فعلى لأقوالى يضاهى   ولا قولى لأفعالى يساوى
كذوبا خائبا لم أوف عهداً   ولم أصدق بمضمون الدعاوى
فسامح مذنبا وارحم ضعيفا   وآنس موحشا فى القبر ثاوى
لقد عودتنى بالستر فضلا   وعنا أنت للضراء زاوى
لنا معروفك المعروف فضلا   به العطشان للغفران راوى

هذه أبيات سهلة وبسيطة مثل أغلب أشعار أبو العتاهية الذى لقب «بأشعر الشعراء» لسهولة كلماته وصعوبة تقليدها، أو انتهاج نهجها، أختم هذا الأمر «على الداعية أن يطعم الخطبة بالأبيات الشعرية على حسب الحضور. مستوى المستمع ولكن لا تخلو الخطبة من هذه الأبيات»

الأمر الثالث:

صدق الداعية:

كل ما سبق ذكره هام ولكن الله الله فى الصدق فعلى الداعية أن يُذكر نفسه قبل أن يُذكر الناس فهو قدوة وأسوة، ينبغى أن يصل لهذه الدرجة - وهذه الدرجة -: «درجة أن يصير قدوة» لا يصل أى داعية لها إلا بالصدق فى نفسه وفى علانيته، فنسألك إلهنا الصدق فى القول والعمل اللّهم آمين

الفصل الثانى

خطبه الشافية

الفصل الثانى

خطبه ورسائله الشافية

الخطب الشافية، تسمى بهذا الاسم لأنها تشفى من مرض السؤال، فقد يريد المرؤ منا أن يعرف شيئا عن الزهد، الورع، الفقه، طريق الخلاص، فيجد إجابة تشفى صدره فى هذه الخطب لذا فهى خطب هامة جداً ذو تأثير جيد.

ولنبدأ سويا بطرح أول خطبة من خطبه الشافية.

سنة رسول الله ﷺ

قبل أن نذكر الخطبة بودى أن أطلعكم أولا على هذا الخبر «عن عبد الله بن أبى زيد قال: كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر فإن كان فى القرآن أخبرته فإن لم يكن فى القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، وإن لم يكن فى القرآن ولا عن رسول الله، وكان عن أبى بكر أو عمر أخبر به، فإن لم يكن فى شىء من ذلك أجتهد رأيه»

لذا فهذا نص من جزء من خطبة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قال فيه:

نص

(ألا إن ما سَنَّ رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهى إليه، وما سن سواهما فإنا نرجئه)(١)

(١) كنز العمال: ١/١٢٦ وكذا عند ابن عساكر.

شهادة الخائن

الإسلام دين أُسِّسَ على الرقى والتقدم والحضارة الحقيقية التى بها تزكى النفوس وتسود الأمم لذا نرى هذه الكلمات العطرة التى بلغها الإمام عمر بن عبد العزيز حين قال:

نص

(لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذى غمرٍ على أخيه ولا محدثٍ فى الإسلام ولا محدثة) (٢)

قواعد الصحبة

قال الزبير بن بكار: حدثنى محمد بن سلام، عن سلام بن سليم قال: لما ولى عمر بن عبد العزيز صعد المنبر وكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

نص

(أيها الناس....؛

من صحبنا فليصحبنا بخمس أو ليفارقنا

١ ـ يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها.

٢ ـ ويعيننا على الخير بجهده

٣ ـ ويدلنا من الخير على مالا نهتدى إليه

(٢) كنز العمال: ٣/١٢٤.

٤ ـ ولا يغتابن عندنا أحداً

٥ ـ ولا يعرضن فيما لا يعنيه) [٣]

فانقشع عنه الشعراء والخطباء، وثبت معه الفقهاء والزهاد

أحسنوا رحمكم الله

هذه الخطبة خير معين إن شاء الله على مصائب الدنيا وهمومها وهى: خطب عمر بن عبد العزيز يوما الناس فقال: وقد خنقته العبرة:

نص

(أيها الناس....؛

أصلحوا آخرتكم يصلح الله دنياكم، وأصلحوا أسراركم يصلح الله له علانيتكم، والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات، إنه لمعرق له فى الموت.) [٤]

وقال أيضا فى بعض خطبه:

(كم من عامر موثق عما قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عمل قليل يظعن [٥] فأحسنوا ـ رحمكم الله ـ من الدنيا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة بينما ابن آدم فى الدنيا ينافس قرير العين فيها يانع[٦]، إذ دعاه

(٣) البداية والنهاية: ٩٠/٢٢٤.
(٤) البداية والنهاية: ٩/٢٣٤.
(٥) يظعن: يرحل.
(٦) يانع: أى: ثمر ناضج.

الله بقدره، ورماه بسهم حتفه، فسلبه إثارة دنياه، وصير إلى قوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر؛ تسر قليلا وتحزن طويلاً) (٧)

لست بمبتدع

قال إسماعيل بن عياش، عن عمرو بن مهاجر قال: لما استخلف عمر ابن عبد العزيز قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

نص

(أيها الناس....؛

إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبى بعد محمد ﷺ، وإنى لست بقاض ولكنى منفذ وإنى لست بمبتدع ولكنى متبع، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم إلا أن الإمام الظالم هو العاص، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق عزَّ وجلَّ) (٨)

وفى رواية أنه قال فيها:

(وإنى لست بخير من أحد منكم، ولكننى أثقلكم حملاً، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الله، ألا هل أسمعت؟) (٩)

فرائض وشرائع

قال عبد الرحمن بن مهدى، عن جرير بن حازم، عن عيسى بن عاصم قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى:

(٧) البداية والنهاية: ٩/٢٣٤.
(٨) البداية والنهاية: ٩/٢٣٤.
(٩) المرجع السابق.

نص

(إن للإسلام سننا وفرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش أبينها لكم لتعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص) (١٠)

الدنيا عدوة أولياء الله

بالطبع نحن نحيا فى عصر القابض فيه على دينه كالقابض على حجر لذا فهذه الخطبة ستريح القلوب، وتصفى الأذهان، وتثلج الصدور وهى:

نص

(لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير، ولذهب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة.

اللهم أصلح من كان فى صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ وأهلك من كان فى هلاكه صلاح أمة محمد ﷺ.

الدنيا عدوة أولياء الله، وولية أعداء الله، أما الأولياء فغمتهم وأحزنتهم، وأما الأعداء فغرتهم، وشتتهم، وأبعدتهم عن الله.

قد أفلح من عصم من المراء، والغضب، والطمع) (١١)

(١٠) البداية والنهاية: ٩/٢٣٧.
(١١) الحلية: ٦/٢٦٦.

عليك لزوم السنة

روى الطبرانى والدارقطنى، وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له:

نص

(أما بعد...؛

فإنى أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله، والاقتصاد فى أمره، وترك ما أحدث المحدثون بعده، ممن قد حارب سنته، وكفوا مؤنته، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها ـ أو قال: دليل عليها ـ فعليك لزوم السنة، فإنه إنما سنها من قد علم ما فى خلافها من الزيغ والزلل، والحمق والخطأ والتعمق، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وعلى العمل الشديد أشد، وإنما كان عملهم على الأسد، ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل لكانوا فيه أحرى، وإليه أجرى، لأنهم السابقون إلى كل خير، فإن قلت: قد حدث بعدهم خير، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين، وحاد عن طريقهم، ورغبت نفسه عنهم، ولقد تكلموا منه ما يكفى، ووصفوا منه ما يشفى، فأين لا أين، فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم غير محسن، ولقد قصر أقوام دينهم فحفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا فرحم الله ابن عبد العزيز) (١٢)

وقال الإمام ابن كثير تعليقا على هذه الرسالة «ما أحسن هذا القول الذى ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة، ومحبة ما كان عليه الصحابة، فمن الذى يستطيع أن يقول مثل هذا القول من الفقهاء وغيرهم؟

---

(١٢) البداية والنهاية: ٩/٢٥٣.

فرحمه الله وعفا عنه) (١٣)

وهناك مقولة لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: «سن رسول الله ﷺ وخلفاؤه بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستعمال لطاعة الله ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر فى رأى من خالفها، فمن اقتدى بما سبق هدى، ومن استبصر بها أبصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا» (١٤)

لقاء الله

أمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى فى الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخطبهم، فقال فى خطبته:

نص

(إنى لم أجمعكم إلا أن المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة، ولم يعمل لذلك ويستعد له أحمق، والمكذب له كافر، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (١٥)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (١٦)) (١٧)

---

(١٣) المرجع السابق.
(١٤) المرجع السابق.
(١٥) فصلت آية: ٥٤.
(١٦) يوسف آية: ١٠٦.
(١٧) الخبر فى البداية والنهاية: ٢٥٤/٩.

الدم الحرام

كتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى عدى بن أرطأه، وأهل البصرة:

نص

(أما بعد ... فإن من الناس من شاب فى الشراب، ويغشون عنده أموراً انتهكوها عن ذهاب عقولهم، وسفه أحلامهم، فسفكوا له الدم الحرام، وارتكبوا فيه الفروج الحرام، والمال الحرام، وقد جعل الله عن ذلك مندوحة من أشربة حلال، فمن انتبذ فلا ينتبذ إلا من أسقية الأدم، واستغنوا بما أحل الله عما حرم، فإنا من وجدناه شرب شيئا مما حرم الله بعد ما تقدمنا إليه، جعلنا له عقوبة شديدة، ومن استخف بما حرم الله عليه، فالله أشد عقوبة له وأشد تنكيلا (١٨)

ويح نفسى إلى ما أصير

حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق الثقفى ثنا محمد بن الصباح ثنا عمر بن حفص عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ولى العهد من بعده:

نص

بسم الله الرحمن الرحيم

(من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

(١٨) البداية والنهاية: ٢٥٦/٩.

أما بعد: فإنى كنت وأنا رنق من وجعى وقد علمت أنى مسئول عما وليت يحاسبنى عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفى عليه من عملى شيئا، يقول فيما يقول: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (الأعراف: ٧) فان يرض عنى الرحيم فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل، وإن سخط على فياويح نفسى إلى ما أصير، اسأل الله الذى لا إله إلا هو أن يجيرنى من النار برحمته، وأن يمن على برضوانه والجنة، فعليك بتقوى الله والرعية.. الرعية فإنك لن تبقى بعدى إلا قليلا حتى تلحق باللطيف الخبير والسلام) (١٩)

قوام الدين العدل والإحسان

حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا عمر بن محمد بن الحسن الأسدى ثنا أبى محمد بن طلحة عن داود بن سليمان: قال: كتب عمر ابن عبد العزيز إلى عبد الحميد صاحب الكوفة:

نص

بسم الله الرحمن الرحيم

(من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد....؛

فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة، وجور فى أحكام الله، وسنن خبيثة سنها عليهم عمال سوء، وأن قوام الدين العدل والإحسان، فلا يكونن شىء أهم من نفسك أن توطنها لطاعة الله، فإنه لا قليل من الإثم، وآمرك أن تطرز أرضهم ولا تحمل خرابا على عامر، ولا عامراً على خراب، وأنى قد وليتك من ذلك ما ولانى الله) (٢٠)

(١٩) حلية الأولياء لأبى نعيم: ٢٧٤/٥ ـ ٢٧٥.

(٢٠) حلية الأولياء: ٢٨٦/٥.

الإصرار على الذنوب

حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا يحيى بن عثمان الحربى ثنا إسماعيل بن عباس عن عاصم بن رجاء بن حيوة قال: كان عمر ابن عبد العزيز يخطب فيقول:

نص

أيها الناس....

من أَلَمَّ بذنب فليستغفر الله وليتب (فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب) فإنما هى خطايا مطوقة فى أعناق الرجال، وإن الهلاك الإصرار عليها) (٢١)

ويقال أيضا: إنه خطب فقال: (أيها الناس من أحسن منكم فليحمد الله، ومن أساء فليستغفر الله، فإنه لابد لأقوام من أن يعملوا أعمالا وظفها الله فى رقابهم، وكتبها عليهم)

وخطب أيضا قائلاً: (ألا إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم)

والنصوص عند أبى نعيم

لولا سنة أحييها

حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا أحمد بن الحسين ثنا أحمد بن إبراهيم ثنا موسى بن إسماعيل ثنا حزم حدثنى رجل يقال له: زيد أنه سمع عمر بن

(٢١) حلية الأولياء: ٥/٢٩٦، وكذا سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ١٨٧.

عبد العزيز يوم عيد وجاء راكبا، فنزل ونزل من معه، ثم جاء يمشى وعليه جبة محشوة بيضاء، وعمامة شامية صفيقة، وسراويل يمنية، وخفان ساذجان، فصعد المنبر فأتى بعصا مضببة بفضة عرضها بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم تلا آيات من كتاب الله ثم قال:

نص

(أيها الناس، إنى وجدت هذا القلب لا يعبر عنه إلا باللسان ولعمرى ـ وإن لعمرى منى لحق ـ لوددت أنه ليس من الناس عبد ابتلى بسعة إلا نظر قطيعا من ماله فجعله فى الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، بدأت أنا بنفسى وأهل بيتى، ثم كان الناس بعد)

ثم كان آخر كلمة تكلم بها حين نزل: «لولا سنة أحييها وبدعة أميتها لم أبالى أن لا أبقى فى الدنيا فواتا» (٢٢)

تقوى الله

جاء فى سيرة عمر لابن الجوزى: قال القرس، وحدثنى الحسين بن عبد الرحمن، عن شيخ له، قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ:

نص

(يا أيها الناس....؛

اتقوا الله، فإنه ليس من هالك إلا له خلف إلا التقوى، واحذروا الموت، فإنه أشد ما قبله وأهول ما بعده)

(٢٢) حلية الأولياء: ٥/٢٩٧، وكذا سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ١٩٠ ـ ١٩١.

هذه خطبة فى التقوى ولكن هناك العديد من الخطب والأقوال فى شأن التقوى عند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، هذه الخطب والأقوال سأعرضها عليكم بأمر المولى عزَّ وجلَّ حتى يتسنى لنا فهم التقوى من منظور هذا الخليفة الزاهد ـ رحمة الله عليه ـ.

قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: (ليس تقوى الله، بصيام النهار، وقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله. ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرا، فهو خير إلى خير)

وجاء فى الحلية لأبى نعيم: أن عمر بن عبد العزيز قال فى خطبته يوم الفطر: (أتدرون ما مخرجكم هذا؟ صمتم ثلاثين يوما، وقمتم ثلاثين ليلة، ثم خرجتم تسألون أن يتقبل منكم)

وجاء أيضا فى الحلية حدثنا أبو بكر ثنا عبد الله بن محمد ثنا محمد ابن شبل ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا أبو معاوية عن مطرف قال: رأيت عمر ابن عبد العزيز يخطب الناس وعليه ثوبان أخضران، فذكر الموت فقال:

(غنط ليس كالغنط وكظ ليس كالكظ) (٢٣)

وجاء فى سيرة عمر لابن الجوزى:

وقال القرشى وحدثنى محمد بن يزيد الأدمى، قال عمر بن عبد العزيز: (معادن التقوى قلوب المؤمنين، وخير معادنها أتقاها لله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأتقاها لله أحسنها عقلا)

وقال أيضا ابن الجوزى: قال القرشى: وكتب إلى زبير بن أبى بكر

(٢٣) الغنط: أشد من الكرب، والكظ: شىء يعترى الإنسان من الطعام يقال: كظى هذا الأمر أى: جهد فى الكرب؛ والمعنى الإجمالى «هم شديد وكرب عظيم».

يخبرنى عن ذؤيب بن عمامة السهمى، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، أن أباه كان يقول: (إذا كنت من الدنيا فيما يسوءك، فاذكر الموت، فإنه يسهله عليك) (٢٤)

وهناك أيضا رسالة فى مسألة التقوى ولكنى سأضعها تحت عنوان

سلوا الله العون

ثنا ابن المبارك عن مسلمة بن أبى بكر عن رجل من قريش أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى بعض عماله:

نص

(عليك بتقوى الله فى كل حال ينزل بك، فإن تقوى الله أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوى القوة، ولا تكن فى شىء من عداوة عدوك أشد احتراسا لنفسك ومن معك من معاصى الله، فإن الذنوب أخوف عندى على الناس من مكيدة عدوة، وإنما نعادى عدونا ونستنصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم لأن عددنا ليس كعددهم، ولا قوتنا كقوتهم، فإن لا ننصر عليهم بمقتنا لا نغلبهم بقوتنا، ولا تكونن لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم ولا أشد تعاهدا منكم لذنوبكم، واعلموا أن عليكم ملائكة الله حفظة عليكم يعلمون ما تفعلون فى مسيركم ومنازلكم، فاستحيوا منهم وأحسنوا صحابتهم ولا تؤذوهم بمعاصى الله، وأنتم زعمتم فى سبيل الله.

ولا تقولوا إن عدونا شر منا، ولن ينصروا وإن أذنبنا، فكم من قوم قد سلط - أو سخط - عليهم بأسر منهم لذنوبهم، وسلوا الله العون على أنفسكم

(٢٤) جميع ماذكر عن التقوى موجود فى سيرة عمر لابن الجوزى: ١٩٢ - ١٩٣، وأيضا فى حلية الأولياء لأبى نعيم: ٣٢/٥

كما تسألونه العون على عدوكم، نسأل الله ذلك لنا ولكم، وأرفق بمن معك فى مسيرهم فلا تجشمهم مسيرا يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يلقوا عدوهم والسفر لم ينقص من قوتهم ولا كراعهم، فإنكم تسيرون إلى عدو مقيم جام (٢٥) الأنفس والكراع، وإلا ترفقوا بأنفسكم وكراعكم فى مسيركم يكن لعدوكم فضل فى القوة عليكم فى إقامتهم فى جمام الأنفس والكراع، والله المستعان.

أقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة لتكون لهم راحة يجمون بها أنفسهم وكراعهم، ويرمُّون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منزلك عن قرى الصلح ولا يدخلها أحد من أصحابك لسوقهم وحاجتهم إلا من تثق به وتأمنه على نفسه ودينه فلا يصيبوا فيها ظلما، ولا يتزودوا منها إثما، ولا يرزؤون أحدا من أهلها شيئا إلا بحق، فإن لهم حرمة، فلا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، ولتكن عيونك من العرب ممن تطمئن إلى نصحه من أهل الأرض، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدق فى بعضه، وإن الغاش عين عليك وليس بعين لك) (٢٦)

لا تخدعنا المظاهر

للأسف نحن نحيا فى عصر غريب، المهم عند الناس المظاهر والشكل يتناسون تماما أن الإنسان بجوهره ومعدنه، ولنرى سويا إحدى رسائل أمير المؤمنين التى تبين لنا ذلك.

أنبأنا عبد الرزاق عن معمر قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطأة ـ وكان استخلفه على البصرة:

(٢٥ الجام: بالفتح الراحة يقال: جم الفرس جما إذ ذهب إعياؤه (ذهب مرضه وتعبه).

(٢٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٠٣/٥ ـ ٣٠٤.

نص

(أما بعد....؛

فإنك غررتنى لعمامتك السوداء، ومجالستك القراء، وإرسالك العمامة من ورائك، وأنك أظهرت لى الخير فأحسنت بك الظن، وقد أظهر الله على ما كنتم تكتمون والسلام) (٢٧)

هذه الرسالة، والرسالة التى تليها سأعلق عليها إن شاء الله فى الإفادة.

الخليفة داعية صادق

حدثنا أبو بكر الطلحى ثنا عبد الله بن محمد الحرانى ثنا يوسف القطان ثنا جرير بن عبد الحميد ثنا جابر بن حنظلة الضبى قال:

نص وخبر

(كتب عدى أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز.

أما بعد: فإن الناس قد كثروا فى الإسلام وخِفتُ أن يقل الخراج؟

فكتب إليه عمر بن عبد العزيز:

فهمت كتابك، ووالله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا) (٢٨)

(٢٧) نفس المرجع: ٣٠٥/٥.
(٢٨) الحلية: ٣٠٥/٥.

معول المؤمن الصبر

روى عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، قال: قال عمر بن عبد العزيز:

نص

(من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ومن لم يعدَّ كلامه من عمله كثرت ذنوبه، والرضا قليل، ومعول المؤمن الصبر، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضة مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٩)) (٣٠)

خطورة الجهل

جاء فى سيرة عمر لابن الجوزى: قال: حدثنا عمرو بن ذر قال: صعد عمر بن عبد العزيز ذات يوم المنبر

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

نص

(أيها الناس....؛

إنما يرادُ الطبيب ......

(٢٩) الزمر الآية: ١٠.

(٣٠) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٤٧٧/٧.

للوجوع الشديد، ألا فلا وجع أشد من الجهل، ولا داء أخبث من الذنوب، ولا خوف أخوف من الموت) (٣١) ثم نزل

أوصيكم بتقوى الله

قال ابن الجوزى: حدثنا الوليد بن مسلم قال: قال عبد الله بن العلاء: سمعت عمر بن عبد العزيز فى الجُمع بخطبة واحدة يرددها يفتتحها بسبع كلمات:

نص

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى.

ثم يوصى بتقوى الله ويتكلم. ثم يخطب خطبته الآخيرة «يقصد الخطبة الثانية» بقراءة هؤلاء الآيات:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ

(٣١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ١٩٦.

آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴿٥٩﴾ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴿٦٠﴾ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴿٦١﴾ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴿٦٢﴾ له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ (٣٢) (٣٣)

قال عبد الله بن العلاء: لم يدع قراءة ذلك مقامى قبله.

(٣٢) الزمر الآية: ٥٣ الى ٦٣.

(٣٣) سيرة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ٢٠١.

الإفادة

هذا الفصل رغم قلة صفحاته، إلا أنه يمتلئ بالدروس المستفادة، ولو شئنا ان نتطرق فى كل الدروس المستفادة لاحتجنا إلى مجلدات الله وحده أعلم بعددها.

ولكننا سنكتفى إن شاء الله بشرح عدد قليل من الدروس المستفادة رأيت أنها غاية فى الأهمية ألا وهى.

الدرس الأول:

التعليل ومنطق الجزاء:

ينبغى على كل داعية أن يدرس جيِّدًا مسألة التعليل ومنطق الجزاء حتى يستطيع أن يصل إلى عقول وقلوب معظم المستمعين بأمر المولى عزَّ وجلَّ.

ويعلم أن هناك أُناس يأتون فقط لصلاة الجمعة، ولا يصلون بقية الأيام، وأن كلامه عن الجنة والنار لعلة التزامهم لا يؤثر فيهم ولا يترك عندهم ميول إلى الصلاة بقية الأيام، وهنا ينبغى على الداعية ان يُطعم خطبته بمنطق خلاف منطق الوعيد، فمثلا يقول الإمام عمر بن عبد العزيز عليه ـ رحمة الله ـ: «أصلحوا آخرتكم يصلح الله دنياكم، وأصلحوا أسراركم يصلح الله علانيتكم، والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات». هل فهمتم الآن أيها الدعاة؟

المقصود أن هناك أُناسًا متعلقون بالدنيا وتشغلهم الأموال والأولاد والنساء فإذا ذكرت الموت ربما يرق قليلا وربما لا يرق قلبه من ذكر الموت أو

القيامة، لذا عليك أن تخبره أن صلاح الأمر الذى يسعى له ليس بالسعى إليه وإنما بالسعى إلى خالقه، وهنا يستقيم له الأمر عندما يعلم ذلك سيحاول الالتزام، عسى أن يكون بالتزامه تخفيف عليه من أعباء الدنيا التى أصر على حملها.

وسيقول الدعاة: اضرب لنا أمثلة، وسأرد قائلا: فليكن بخطبتك على سبيل المثال قصة كقصة إبراهيم بن أدهم وهى: «قال بعض الصالحين: كنت مع إبراهيم بن أدهم فى بعض أسفاره، فدخلنا الكوفة، فأوينا إلى مسجد خراب، قال: فوجدت ألم الجوع، فقلت: يا سيدى أنا جائع، فقال لى: ائتنى بدواة وقرطاس، فأتيته بها فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنت المقصود فى كل معنى، والمشار إليه بكل معنى.

أنا حامد أنا شاكرُ أنا ذاكرُ
أنا جائع أنا بائس أنا عارى
هى ستة وأنا الكفيل بنصفها
فكن الكفيل بنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضته
فأجرْ عبيدك من عذاب النار

قال: ثم دفع إلى الرقعة، وقال: ادفعها لأول رجل تجده.

قال: فصادفت شابا حسن الوجه، نظيف الثياب، يسير على بغلة، قد فدفعت إليه الرقعة، فلما قرأها بكى، وقال: أين صاحب هذه الرقعة؟ قلت: هو فى المسجد الفلانى، فناولنى صرة فيها ستمائة دينار، وقال: احملها إليه،

فسألت عنه، فقيل: هو نصرانى فتعجبت من ذلك، وحملت الصرة إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة، فقال: ضعها فإن صاحبها يأتى فى هذه الساعة، قال: فلم تلبث إلا ساعة، وإذا به قد أقبل وقبل رأس الشيخ، وقال: نِعْمَ ما أرشدتنى إليه، ثم قال: يا سيدى أعرض على الإسلام، فعرض عليه، فأسلم وحَسُن إسلامه) (٣٤)

أو لنعرض على المستمع قول أحد الزهاد: (يا بنى من آنسه الله بقربه أعطاه الله أربع خصال: هيبة من غير سلطان، وعلماً من غير تعلم، وغنى من غير مال، وعزاً من غير أهل ولا عشيرة) (٣٥)

هذه الأمور إذا عرضت على ضعاف الإيمان مَنْ أحبوا الدنيا وشغلوا بها سيعدلون إلى الالتزام والصلاة عسى أن ينفعهم ذلك فى أمور الدنيا.

وهنا أرى سائلاً. وعندما يلتزمون بالصلاة فى جماعة ألن تلههم الدنيا مرة أخرى؟

وهنا أقول سيكون ردى بقصة؛ وحديث القصة فهى: (كانت هناك امرأة غاية فى الجمال وهى فى نفس الوقت زوجة لأحد الدعاة الصالحين، وكان هناك شاب فاسق وعربيد كلما رأى هذه المرأة قال لها: «ألم يَأن الميعاد بعد»، فتحمر خجلا وتغلق باب دارها، وفى يوم من الأيام أصرت على إخبار زوجها، وعندما أخبرت كان له جواب غاية فى العجب لقد قال لها: «قولى له سَيَأن إن صليت وراء زوجى أربعين يوما وليلة لا تترك فرضا واحداً إلا ورائه» وبالفعل بَلَغت الرسالة إلى الفاسق؛ فقال: ما أيسر الطلب وما أعز المطلوب وبالفعل صلى هذا الفاسق الفروض الخمسة فى جماعة ولمدة أربعين يوما، ولكن بعد الأربعين لازم دروس الإمام والمحافظة على الصلوات واستغفر الله على ما كان منه)

(٣٤) المواعظ والمجالس لابن الجوزى: ٧٠ ـ ٧١ وكذا فى إحياء علوم الدين.
(٣٥) المرجع السابق: ٨٠.

هذه هى القصة. أما الحديث فهو برهان على صحة هذه القصة هذا الحديث هو:

قال أبو كريب: حدثنا ركيع عن ابن أبى خالد، ومسعرة، والبحترى بن المختار. سمعوه من أبى بكر بن عمارة بن رؤيبة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعنى الفجر والعصر. فقال له رجل من أهل البصرة:أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟

قال: نعم. قال الرجل: وأنا أشهد أنى سمعته من رسول الله ﷺ سمعته أذنى ووعاه قلبى) (٣٦)

واسمحوا لى أن أطرح حديثا آخر وهو:

(حدثنا قيس بن أبى حازم قال: سمعت جرير بن عبد الله وهو يقول: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ. إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعنى العصر والفجر. ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾(٣٧)) (٣٨)

وهنا أقول:

هل يعقل أن هناك رجل داوم على الصلاة فى جماعة لن يرق قلبه لأنه

(٣٦) الحديث فى صحيح مسلم بشرح النووى: ٢/٨٨٥، وابو داود ١/١١٦، والنسائى ١/٢٣٥.

(٣٧) سورة ق: ٣٩

(٣٨) الحديث فى فتح البارى شرح صحيح البخارى: ٢/٣٣، والترمذى: ٤/٦٨٧ وابن ماجه ١/٦٣.

موعود برؤيا ربه؟ واختم قائلا: أما يكفينا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (٣٨)

لذا ينبغى على الداعية أن يحسن اختيار العلة ومنطق الجزاء تبعاً لمن يستمعوا إليه فإن كان يغلب عليهم الصلاح فليذكر بالقبر والقيامة فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وإن كان كما ذكرنا سابقاً أنهم ممن شغفوا بحب الدنيا فليتبع هذا المنهج السابق، والله وحده الموفق.

الدرس الثانى:

لا تخدعنا المظاهر:

للأسف نحن نحيا فى عصر غريب ننخدع فيه بالمظاهر ولا ألوم أحدًا على ذلك ولكنى أقول الإسلام ليس بدين يهتم بالمجاملات والنفاق بل إنه دين يذم ذلك وليس بدين يحث على الكبر والخيلاء والخداع، ولكنه دين يحارب ذلك لذا فأرجو من الله أن تتكسر قلوبنا جميعا ولا يوضع فيها سوى العمل لوجه الله والتحرى كل التحرى للصدق مع الله حتى نفوز وننعم برضوانه.

ولتكن صحبتنا لأهل الخير الذين يجتهدون فى دينهم بالصلاح والتقوى ولنا فى ذلك مثل عظيم فى الرسالتين: «لا تخدعنا المظاهر»، و«الخليفة داعية صادق» فكلاهما يرشدنا إلى الإسلام الحق الذى تقوم على أساسه الدول وتنشأ به السعادة والفوز فى الدارين الدنيا والآخرة

وأخيرا أختم هذا الفصل بقولى: (اللَّهم إنا نسألك قلبا خاشعا ولسانا ذاكراً، وجسداً على البلاء صابراً، ونسألك الصدق والعفو والعافية فى الدنيا والآخرة اللَّهم آمين)

(٣٨) العنكبوت آية: ٤٥

الفصل الثالث
مسك الختام

- عندما ترعى الذئاب الغنم
- عندما يحبك أعداءك
- نحول جسم الخليفة
- طعام الإمارة
- قميص الخليفة
- ميراث الخليفة
- حسن الخاتمة
- السيرة العطرة
- رعاية الله لذريته
- يا أرحم الراحمين

الفصل الثالث

مسك الختام

كان من المفروض أن نفتتح هذا الكتاب بنبذة عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ولكنى رأيت أن أجعل هذه النبذة فى آخر الكتاب حتى تكون مسك الختام.

(عندما ترعى الذئاب الغنم)

لقد رأينا فى الفصلين السابقين مدى عظمة هذا الرجل، ومدى صدقه وعدله وأمانته، سواءً فى خطبه أم فى رسائله ولكن يا ترى هل لهذا شاهد فى الحياة الواقعية؟ اسمحوا لى أن أقول بملء فمى: نعم... إى والله نعم.

ولقد وضعت هذا الشاهد على كلامى تحت عنوان عندما ترعى الذئاب الغنم. وهذه قصة حقيقية حدثت فى عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وهى:

(حدثنا أبو أحمد الجرجانى ثنا عامر بن شعيب ثنا يحيى بن أيوب ثنا رزق بن رزق الكندى حدثنى جسر القصاب قال: «كنت أحلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع وفى غنمه نحو من ثلاثين ذئبا، فحسبتها كلاباً ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك، فقلت: يا راعى ما ترجو بهذه الكلاب كلها؟

فقال: يا بنى إنها ليست كلابا، إنما هى ذئاب.

فقلت: يا سبحان الله ذئب فى غنم لا تضرها؟

فقال: يا بنى إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس وكان ذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز) (١)

وجاء أيضا (حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنى على بن سلم الطوس ثنا يسار ثنا جعفر قال: ثنا مالك بن دينار قال:

«لما استعمل عمر بن عبد العزيز على الناس قال رعاء الشاء: من هذا العبد الصالح - الذى قام على الناس؟

قيل لهم: وما علمكم بذلك؟

قالوا: إنه إذا قام على الناس خليفة عدل كفت الذئاب عن شائنا») (٢)

عندما يحبك أعداؤك

لما بلغت الخوارج سيرة عمر، وما رد من المظالم، اجتمعوا وقالوا: (ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل)

وقال ابن الجوزى: حدثنا محمد بن سعد قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو كان كل بدعة يميتها الله على يدى، وكل سنة ينعشها الله على يدى ببضعة من لحمى، حتى يأتى آخر ذلك على نفسى، كان فى الله يسيراً.

وقال أيضا: حدثنا ابن وهب قال: حدثنى مالك أن عمر بن عبد العزيز قام فى الناس - وهو خليفة - على المنبر يوم الجمعة فقال:

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم: ٢٠٥/٥ والقصة أيضا فى سيرة عمر لابن الجوزى: ٦٩.
(٢) حلية الأولياء لأبى نعيم: ٢٥٥/٥.

نص

أيها الناس إنى أنساكم هاهنا، وأذكركم فى بلادكم، فمن أصابته مظلمة من عامله فلا إذن له علىَّ، ومن لا، فلا أرينه، وإنى والله إن منعت نفسى وأهل بيتى هذا المال وضننت به عنكم، إنى إذن ولولا أن أنعش سنة، وأعمل بحق، ما أحببت أن أعيش فواقاً) (٣)

نحول جسم الخليفة

عندما يهزل جسم الخليفة والدنيا جميعها فى قبضته أليس هذا أوضح بيان لمدى عدل وعظمة هذا الخليفة؟. وحتى لا أطيل عليكم فإليكم ما جاء فى هذا الأمر.

قال ابن الجوزى: حدثنا أبو المقدام هشام بن زياد قال: حدثنا محمد ابن كعب القرظى قال:عهدتُ عمر بن عبد العزيز، وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك، وهو شاب غليظ ممتلئ الجسم فلما استخلف أتيته بخُناصره، فدخلت عليه وقد قاس ما قاس، وإذا هو قد تغيرت حاله عما كان فجعلت أنظر إليه نظراً لا أكاد أصرف بصرى عنه

فقال: إنك لتنظر إلى نظراً ما كنت تنظره إلى من قبل يا ابن كعب.

قلت: تعجبنى

قال: وما عجبك؟

قلت: لما حال من لونك، ونفى شعرك، ونحل من جسمك.

---

(٣) جميع ماذكر فى سيرة عمر لابن الجوزى: ٥٤.

قال: فكيف لو رأيتنى، يا ابن كعب فى قبرى بعد ثالثة حين تقع حدقتى على وجنتى، ويسيل منخرى وفمى صديداً ودوداً، كنت لى أشد نكرة؟ ثم قال: أعد علىَّ حديثا حدثتنيه عن ابن عباس.

قلت: نعم حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل شىء شرفا، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة، وإنما تجالسون بالأمانة ولا تصلوا خلف النائم والمحدث، واقتلوا الحية، والعقرب وإن كنتم فى صلاتكم، ولا تستروا الجدر بالثياب، ومن نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر فى النار، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله عزَّ وجلَّ أوثق منه بما فى يده» (٤)) (٥)

طعام الإمارة

قال نقل عن الأوزاعى، عن نعيم بن سلامة، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو يأكل ثوما بدقة وزيت.

وقال ابن الجوزى حدثنا سهل بن عاصم، عن خلاد بن بزيع، عن سهيل أخى حزم قال: سمعت مالك بن دينار يقول: قال عمر بن عبد العزيز:

(ما تركت من الدنيا شيئا إلا عقبنى فى قلبى ما هو أفضل منه «يعنى من الزهد» وما أنعم الله علىَّ فى دينى أفضل)

وقال أيضا ابن الجوزى: حدثنا أبو أمية، غلام عمر بن عبد العزيز، قال: دخلت يوما على مولاتى فغدتنى عدساً، فقلت: «كل يوم عدس»؟

قالت: «يابنى؛ هذا طعام مولاك أمير المؤمنين») (٦)

(٤) الحديث أخرجه أبو داود، وابن ماجه حديث رقم ٩٥٩.
(٥) القصة بكاملها فى سيرة عمر: ١١ ـ ١٢.
(٦) جميع ماذكر فى سيرة عمر لابن الجوزى: ١٤٤.

قميص الخليفة

عن مسلمة، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة؛ اغسلى قميص أمير المؤمنين،

قالت: نفعل إن شاء الله.

ثم غدوت فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة؛ ألم آمرك أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين؟ فإن الناس يعودونه.

قالت: «والله، ماله قميص غيره»

وقال ابن الجوزى: حدثنا عمارة بن أبى حفصة قال: دخلت على عمر فى مرضه وعليه قميص قد اتسخ جيبه، وتخرق. فدخل مسلمة فقال لأخته فاطمة امرأة عمر: ناولينى قميصاً غير هذا حتى يلبسه، أمير المؤمنين، فإن الناس يدخلون عليه. فقال: عمر: «دعها، فما أصبح ولا أمسى لأمير المؤمنين ثوب غير الذى يُرى عليه»

وعن مسلمة أيضا، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز فى اليوم الذى مات فيه، وفاطمة بنت عبد الملك جالسة عند رأسه، فلما رأتنى تحولت وجلست عند رجليه، وجلست أنا عند رأسه، فإذا عليه قميص وسخ مخرق الجيب، فقلت لها: لو أبدلتم هذا القميص؟ فسكتت، ثم أَعَدْتُ القولَ عليها مراراً حتى غلظت، فقالت: «والله ماله قميص غيره»

وعن أزهر قال: رأيت عمر بن عبد العزيز بخناصره يخطب الناس عليه قميص مرقوع.

وعن ربيعة بن عطاء، عن عمر بن عبد العزيز أنه أخَّر الجمعة يوماً عن وقته الذى كان يصلى فيه، فقلت له: أخرت الجمعة عن وقتك؟

فقال: إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها، فحبس بها. فعرفنا أن ليس له غيرها، ثم قال: أما أنى قد رأيتنى، وأنا بالمدينة وإنى لأخاف أن يعجز ما رزقنى الله عن كسوتى فقط. ثم تمثل بهذا البيت:

قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن له عودة أخرى الليالي الغوابر

وقال ابن الجوزى حدثنى سعيد بن سويد أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين؛ إن الله قد أعطاك، فلو لبست، فنكس ملياً ثم رفع رأسه فقال:

نص

(إن أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة) (٧)

ميراث الخليفة

يقال: إن ميراث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كان أربعة عشر ديناراً ويقال: إنه كان سبعة عشر ديناراً، واختلفت الأقاويل ولكن لم يتعدى الرقم عشرون ديناراً، رجل حكم الدنيا ويترك لأولاده هذا المبلغ الضئيل الذى يمتلكه أقل راعى من رعيته.

فبماذا خرج من الدنيا؟

(٧) الخطبة وجميع ما ذكر فى حلية الأولياء لأبى نعيم ٢٥٨/٥ ـ ٢٥٩.
وكذا سيرة عمر: ١٤٥ ـ ١٤٦.

والإجابة يسيرة جداً خرج كما يخرج الصالحون منها بثلاثة أمور.

١ ـ حسن الخاتمة

٢ ـ السيرة العطرة

٣ ـ رعاية الله لذريته

ونشرح الثلاثة شرحاً مبسط فنقول.

حسن الخاتمة

روى عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، قال: قال عمر بن عبد العزيز: (من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ومن لم يعدَّ كلامه من عمله كثرت ذنوبه والرضا قليل، ومعول المؤمن الصبر، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه، ثم قرأ هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١) هذه هى الآية التى فاز بها.

فلقد روى عفان بن مسلم، عن عثمان بن عبد الحميد، قال: حدثنا أبى، قال: بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت: اشتد عَلَزُه «وجعه» ليلة، فسهر وسهرنا معه، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال: مرثد، فقلت له: يا مرثد كن عند أمير المؤمنين، فإن كانت له حاجة كنت قريبا منه. ثم انطلقنا فقرينا برؤوسنا لطول سهرنا، فلما انفتح النهار، استيقظت فتوجهت إليه، فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائما، فأيقظته فقلت: يا مرثد، ما أخرجك؟

(١) سورة الزمر: ١٠

قال: هو أخرجني، قال: يا مرثد، اخرج عني؛ فوالله إني لأرى شيئا ما هو بإنس ولا جان، فخرجت فسمعته يتلو هذه الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨)

قالت: فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه وأغمض عينيه، وإنه لميت ـ رحمه الله ـ) (٩)

ما أجملها من حسن خاتمة فاللَّهم ارزقنا حسن الخاتمة.

السيرة العطرة

قال هشام بن الغار: نزلنا منزلا مرجعنا من دابق، فلما ارتحلنا مضى مكحول ولم يعلمنا أين ذهب؟، فسرنا كثيراً حتى رأيناه، فقلنا: أين ذهبت؟

قال: أتيت قبر عمر بن عبد العزيز، وهو على خمسة أميال من المنزل، فدعوت له، ثم قال: لو حلفت ما استثنيت ما كان فى زمانه أخوف لله، عزَّ وجلَّ، من عمر، ولو حلفت ما استثنيت ما كان فى زمانه أزهد فى الدنيا من عمر

(وقال ابن الجوزى: حدثنا سفيان قال: مات عمر بن عبد العزيز، حين مات، وما يزداد عاماً بعد عام إلاَّ فضلاً.) (١٠)

هذه هى السيرة الحسنة التى تبقى لأهل الصلاح والإيمان والتقوى، فاللَّهم ارزقنا حسن السيرة بعد الممات.

(٨) سورة القصص: ٨٣.

(٩) هذه القصة فى كتاب الروح لابن القيم، وفى البداية والنهاية لابن كثير، وسيرة الخلفاء لابن الجوزى، وعند الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك: ٤٧٧/٧.

(١٠) سيرة عمر لابن الجوزى: ٣٢.

رعاية الله لذريته

الكل يصيح فى عصرنا الحالى أريد أن أترك لأبنائى النقود، أدخر لهم كدى وتعبى وشقائى فى هذه الدنيا، ونسى أن الله وحده هو من يتكفل بالأمر لا النقود، ولا النفوذ، أو السلطان.

ولنقرأ سويا تكفل الله لذرية هذا الخليفة العادل (قال ابن الجوزى: قال الشيخ المعتق ـ رحمه الله ـ: وبلغنى أن المنصور قال لعبد الرحمن بن القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق رضي الله عنه: عظنى. قال: بما رأيت أو بما سمعت؟

قال: بما رأيت.

قال: مات عمر بن عبد العزيز، ـ رحمه الله ـ وخلف أحد عشر ابناً، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً، كُفِّنَ منها بخمسة دنانير، واشترى له موضع قبره بدينارين، وقسم الباقى على بنيه، وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهما. مات هشام بن عبد الملك، وخلف أحد عشر ابنا فقسمت تركته وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف، ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز، قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله عزَّ وجلَّ. ورأيت رجلا من ولد هشام يُتَصدقُ عليه) (١١)

اللّه يتكفَّل بالصالحين فى الدنيا والآخرة، فاللّهم الحقنا بهم آمين

وأختم هذا الكتاب المتواضع بدعاء لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو:

(١١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى: ٢٧٦.

يا أرحم الراحمين

(اللَّهم إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغنى؛ رحمتك وسعت كل شىء وأنا شىء، فلتسعنى رحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهم إنك خلقت قوما فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا فى الذى خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين) (١٢)

تم بحمد الله

(١٢) حلية الأولياء لأبى نعيم: ٥/٢٩٩.

أهم المراجع

١ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ لابن حجر العسقلانى

٢ ـ البداية والنهاية ـ للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير

٣ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ للإمام الحافظ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

٤ ـ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ـ للإمام المحدث أبى العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى

٥ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى

٦ ـ سنن ابن ماجه ـ للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى

٧ ـ سنن النسائى ـ للإمام الحافظ أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن على النسائى

٨ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ـ للإمام الحافظ النووى

٩ ـ كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال ـ لعلاء الدين على المنقى بن حسام الدين الهندى

١٠ ـ لسان العرب ـ للعلامة ابن منظور

١١ ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ـ للعلامة القلقشندى

١٢ ـ سيرة الإمام عمر بن عبد العزيز ـ للعلامة ابن الجوزى

١٣ ـ المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ـ للعلامة ابن الجوزى

الفهـــــرس

